

سوسيولوجية الرأي العام الجزائري  
بين هيمنة المرجعيات التقليدية وسطوة الأنساق الرقمية

**Sociology of the Algerian Public Opinion  
between the Hegemony of the Traditional References and the  
Dominance of the Digital Systems**

محمد لمين بوذن\*

مخبر الصحة النفسية، جامعة عمار ثلجي الاغواط (الجزائر).

البريد الإلكتروني المهني: m.bouden@lagh-univ.dz

تاريخ النشر  
2021-12-01

تاريخ القبول  
2021-08-01

تاريخ الإيداع  
2021-04-25

**الملخص:**

نحاول في هذه الورقة التطرق لأهم العوامل المؤثرة على الرأي العام الجزائري في الوقت الراهن، بعد التحولات السوسيو تكنولوجية التي عرفها هذا المجتمع في العشرة الأخيرة، خاصة وأن جل المعطيات المتوفرة في هذا السياق لا تعكس واقع المرحلة الراهنة، ولا تراعي مختلف التحولات وعمليات التحديث التي مر بها المجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة، وهو ما فتح المجال لبروز مجموعة من التساؤلات التي تفرض نفسها علينا كمهتمين بالبحث في مجال علوم الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري، فهل يمكن القول في هذا السياق أن تأثير السلطة الاجتماعية التقليدية على الأفراد تراجع في مقابل بروز تأثير الميديا الاجتماعية الرقمية؟ وهل يمكن الحديث عن تأثير التماسك العضوي في سيورة تكون الرأي العام الجزائري، في ظل النزوع نحو الفردانية والتحرر من القيود الاجتماعية التقليدية؟ وما موقع وسائل الإعلام الثقيلة من الرأي العام في ظل هذه التحولات؟

**الكلمات المفتاحية:** المجتمع الانتقالي؛ الرأي العام؛ الجزائر؛ الميديا الاجتماعية؛ التحديث

**Abstract:**

This paper addresses the main factors affecting Algerian public opinion nowadays. This is due to the socio-technological changes witnessed in the last ten years, especially as the most available data on public opinion fails to reflect the current period's reality. Besides, the various transformations and modernization processes that Algerian society

\* المؤلف المرسل

has experienced in recent years are not considered. This has raised questions that researchers face in the field of information and communication sciences in Algerian society. Accordingly, did the impact of conventional social control on individuals decline versus the visibility and the impact of digital social media? Does the organic social cohesion have an impact on the formation of Algerian public opinion, with a tendency toward individualism and freedom from conventional social constraints? What is the traditional mass media's position from public opinion in the light of these transformations?

**Keywords:** *Transitional Society; Public Opinion; Algeria; Social Media; Modernization.*

### تمهيد:

قد يكون من البديهي التأكيد على الدور البارز للمتغيرات الاجتماعية والتقنية في تشكيل وتوجيه الرأي العام، والتأثير عليه، ولكن حركية التحولات السوسيو تكنولوجية التي عرفها العالم عموما والمجتمع الجزائري تحديدا في العقدين الأخيرين؛ فتحت المجال لبروز استهجمات جديدة حول كيفية دراسة الرأي العام في المجتمعات الانتقالية، التي لم تتجاوز كليةً مرحلة المجتمع التقليدي ولم تندمج تماما في مرحلة المجتمع الحديث، فتسارع وتيرة الاندماج التقني بما رافقها من عمليات للتحديث في المجتمع الجزائري؛ ساهمت في إحداث تغييرات بارزة في معالم هذا المجتمع، خاصة فيما يتعلق بمدى تأثير الشبكات الاجتماعية التقليدية والسلطة الاجتماعية على الفرد في توجيه الرأي العام، في ظل انتشار الفردانية والسعي نحو تجاوز التمركز الاجتماعي، وبروز تأثير الميديا الرقمية كقواعل أساسية في بلورة اتجاهات الرأي العام.

وبما أن الحجر الأساس في بحوث استطلاع الرأي العام هو وجود المعطيات الكافية حول المجتمع المدروس، فإن تحديد المعالم الأساسية للجمهور الجزائري ومعرفة العوامل الأساسية المؤثرة فيه، بات ضروريا من أجل وجود قاعدة متينة لاستطلاعات الرأي العام في الجزائر؛ وعلى هذا الأساس تنقسم هذه الدراسة على ثلاثة أقسام، يتمحور أولها حول المعالم السوسيولوجية الأساسية لجمهور وسائل الإعلام في الجزائر، أما القسم الثاني فنحاول فيه

فهم نظرة الجزائريين لوسائل الإعلام الجماهيرية وعلاقتهم بها، في حين يسعى القسم الثالث لمناقشة واقع الرأي العام الجزائري في السياق الرقمي.

### أولاً: المعالم السوسيولوجية لجمهور وسائل الإعلام في الجزائر

إن محاولة تحديد معالم جمهور وسائل الإعلام في الجزائر تقتضي إعادة النظر في هذا المفهوم في سياقاته التاريخية والاجتماعية والسياسية والتكنولوجية أيضاً، فجمهور وسائل الإعلام في الجزائر مر بمجموعة من المراحل وشهد العديد من التحولات التي اقتضتها السيرورة التاريخية وفرضها الواقع السياسي والاجتماعي، فالمجتمع الجزائري يعتبر من المجتمعات الانتقالية التي لم تتجاوز كليةً مرحلة المجتمع التقليدي ولم تندمج بعد في مرحلة المجتمع الحديث، وعليه فمحاولة فهم سوسيولوجية جمهور وسائل الإعلام في هذا المجتمع تقتضي أولاً فهم مكانة وسائل الاتصال في هذا السياق الاجتماعي، كما تتطلب معرفة الخصوصيات الاجتماعية للمجتمع الجزائري في علاقته بوسائل الاتصال، وعليه سنحاول النظر للرأي العام الجزائري في إطار سياقاته الاجتماعية والثقافية والتي تتحدد أبرز معالمها في:

#### 1. التماسك العضوي:

يعتبر المجتمع الجزائري من المجتمعات ذات التماسك العضوي القائم على أساس القرابة والدم والشبكات الاجتماعية التقليدية (العائلة، الجماعة، القبيلة... الخ)، فهذه الشبكات تمثل رابطة قوية بين أفراد المجتمع، فالفرد الجزائري يرى نفسه جزءاً من الجماعة التي ينتمي إليها ابتداءً من الأسرة والحي والمدينة وصولاً للقبيلة والعرق والوطن، (تمار، 2005، صفحة 179)، فالانتماء والولاءات على اختلافها رابطة متينة في المجتمع الجزائري، فالجماعة في منظور الجزائري هي المصدر الأساسي للحماية وفي إطارها تبرز كينونة الفرد ومكانته الاجتماعية، وبواسطتها تتحدد علاقاته المختلفة. (قنفود، 2016، صفحة 312)

وفي هذا الإطار فإن سيرورة العملية الاتصالية وفواعلها في هذا النسق الاجتماعي، تتأثر بهذا التماسك العضوي الذي بواسطته يمكن تحديد موقع وسائل الإعلام بالنسبة للمتلقي ومدى قربها إليه، من منطلق أن هذا المتلقي ينتمي إلى جماعة معينة تمثل مرجعية تتحدد في إطارها آراءه واهتماماته، وعلى هذا الأساس فإن دراسة الجمهور في هذا السياق ومحاولة فهم آلية تشكل الرأي العام فيه، تتطلب فهم تأثير التماسك العضوي والطابع الاجتماعي على النسق الفردي، ومعرفة مكانة الفرد في الجماعة ومكانة الجماعة في السياق العام، ودراسة السمات النفسية للفرد في الجماعة لأنها من محددات السلوك الاتصالي والتفاعل مع وسائل الإعلام، هذا بالإضافة إلى السمات العامة والخصائص الديمغرافية الأولية. (تمار، 2005، صفحة 18).

تجدر الإشارة إلى أن هذه المعطيات ليست تعميمية في الوقت الراهن، نظرا لعمليات التحديث التي مر بها المجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة، والتي ساهمت في تغيير الواقع وتجديد البنى الاجتماعية، فالثورة التكنولوجية بما تحمله من آثار اجتماعية ساهمت في تقهقر تأثير الشبكات الاجتماعية التقليدية على الأفراد، وأبرزت معطيات جديدة من قبيل انتشار الفردانية في المجتمع، (مجاهدي، 2011، صفحة 159) وتراجع نمط الأسرة الممتدة لصالح نمط الأسرة النوواة، هذا بالإضافة إلى العديد من المعطيات السياسية والاجتماعية والثقافية الدافعة نحو التحديث من قبيل التحلي عن النظام الاشتراكي والانتقال إلى نظام هجين بين الرأسمالية والاشتراكية، وتغيير أنماط السكن والمعيشة بشكل يدفع نحو تجاوز التمركز الاجتماعي، وبروز أشكال جديدة من الثقافة تميل أكثر إلى التماهي مع الثقافة الغربية (تريكي، 2013، صفحة 92).

## 2. الثقافة الشفهية:

يقصد بالثقافة الشفهية أشكال التعبير والثقافة التي تعتمد بالأساس على الاتصال الشفهي والكلمة المحكية في إيصال رسائلها، مثل الأمثال والأحاديث والحكايات وقصص

البطولات والأساطير والأغاني الشعبية والقصائد الملحمية، والتي تعتبر شكلا من أشكال نقل المعارف والقيم الثقافية والاجتماعية وسبيلا للحفاظ على الذاكرة الجماعية (Unesco، 2020)، وتعتبر الثقافة الشفهية سمة متجذرة في المجتمع الجزائري، نتيجة العديد من الترسبات الاجتماعية والتاريخية التي جعلت من هذه الثقافة سائدة في هذا المجتمع والمجتمعات العربية عموما، حيث تعد قنوات الاتصال التقليدية وخاصة منها الاتصال الشخصي المباشر وحلقات الأحاديث والمناقشة من أبرز أشكال الاتصال والتفاعل الاجتماعي في الجزائر، إلى درجة أنها تنافس وسائل الاتصال الجماهيرية، (تمار، 2005، صفحة 182) وفي هذا الصدد أكدت العديد من الدراسات على الدور الكبير الذي تلعبه أساق الاتصال التقليدية في المجتمع الجزائري، فدراسة رضوان بوجمعة حول أشكال الاتصال التقليدي في منطقة القبائل أكدت على تجذر الثقافة الشفهية في المجتمع القبائلي، فالرسالة الشفهية في هذا النسق الاجتماعي لها وزن كبير، إلى الحد الذي يجعل من "الكلمة" (يقصد بها القول الذي يصدر عن الرجل حول موضوع ما) تكاد تكون مقدسة في هذا المجتمع، وهو ما تؤكد العديد من الأمثال الشعبية المنتشرة في هذا السياق مثل: "الكلمة كالرصاصة إذا خرجت لا تعود"، و"الرجل يمسك من لسانه والبهيمة تمسك من أذنها"، و"قيمة الرجل في الكلمة وليس في السروال"، ويعزز هذا الطرح من ناحية أخرى بوجود خوف من الاتصال المكتوب في المخيال الرمزي التقليدي، ذلك أن المكتوب يذكر المجتمع بالمناسير وكل الرموز المكتوبة التي حوكم على أساسها رموز المقاومة في الحقبة الاستعمارية، فهذا الخوف يرتبط بالظاهرة السياسية في الحقبة الاستعمارية وما بعد الاستعمارية أيضا، كما أن المكتوب ارتبط بالمقدس مثلما هو الحال مع تقديس القرآن الكريم، (بوجمعة، 2007) وبالرغم من كون هذا الطرح الذي قدمه الدكتور "رضوان بوجمعة" يختص بفئة معينة "المجتمع القبائلي"، ومع أنه جاء في سياقات زمانية وتاريخية تختلف عن الواقع الحالي الذي يعيشه المجتمع الجزائري في ظل الثورة التقنية الأخيرة التي شهدتها وسائط

الاتصال، وعمليات التحديث التي شهدتها المجتمع الجزائري في الفترة اللاحقة؛ إلا أنه يعكس جزئيا بعض الأنساق الاتصالية التي ما زالت سائدة في بعض المجتمعات ذات الارتباط الشديد بالممارسات الثقافية التقليدية، مثلما هو الحال في المجتمع الميزابي والتارقي وغيرهم. وفي ذات السياق أكدت دراسة جمال العيفة حول الاتصال الشخصي ودوره في العمل السياسي، (العيفة، جمال، 2007) على الحضور القوي لطابع الاتصال الشفهي في المجتمع الجزائري، حتى أنه كان معتمدا بقوة في الحملات الانتخابية كأسلوب للإقناع والتأثير في الناخب الجزائري الذي يميل أكثر إلى مناقشة مختلف القضايا السياسية شفويا، حتى وإن كانت وسائل الاتصال الجماهيري تعرضت لها بإسهاب.

### 3. الأبوية:

تمثل الأبوية شكل من أشكال السلطة التي يخضع لها الأفراد في إطار النسق الاجتماعي، وهي من مستمدة من النظام العائلي الأبوسي الذي يخضع من خلاله كل أفراد الأسرة لسلطة الأب، وتمتد هذه السلطة لتشمل مختلف مستويات النسق الاجتماعي (جقاوة ولعل، 2018، صفحة 733)، حيث تكون العلاقات الاجتماعية عمودية في مختلف المستويات، فالابن يخضع للأب والمرأة تخضع للرجل والصغير يخضع للكبير والكل يخضع لشيخ القبيلة أو العشيرة، وتعتبر الأبوية من أبرز صفات المجتمعات التقليدية، حتى أن هناك من يأخذ بمفهوم المجتمع الأبوي كمرادف للمجتمع التقليدي<sup>1</sup> وكنقيض للحدثة والتطور (لوصيف، 2016، الصفحات 31-34)، غير أن هذا التصور حسب المفكر "إيليا حريق" لا يجد أي سند له، فالولاءات على اختلافها من معطيات البنية الاجتماعية الثابتة التي لا تلغى أو تستأصل، والحدثة والتطور ليست ملازمة للمجتمعات التي تسود فيها الولاءات الفردية والانتماءات الحزبية العصرية، كما أن التخلف ليس ملازما للمجتمعات التي تسود فيها الولاءات التقليدية. (حريق، 2000، الصفحات 28-29).

تعتبر الأبوية ظاهرة متجذرة في المجتمع الجزائري منذ القدم، غير أن تعرض هذا المجتمع للاستعمار لمدة 132 سنة، وما انجر عنه من احتكاك بالحدثة الغربية، بالإضافة السعي الحثيث الذي بذله المستعمر من أجل تفكيك البنى الثقافية لهذا المجتمع؛ دفع ببروز نظام أبوي مستحدث بحضارة مخضومة، فالمستعمر لم يلغي البنى الاجتماعية التقليدية وإنما قام بتوجيهها في إطار الدينامية الاستعمارية الهادفة لإقصاء الشخصية الجزائرية وإيقاف مسيرتها الحضارية، وإرجاعها لحالة البداوة. (ليمام، 2016، الصفحات 114-115)

إن السؤال الذي يُطرح هنا هو كيف تؤثر الأبوية كظاهرة اجتماعية على علاقة الجمهور بوسائل الإعلام في الجزائر؟ في هذا الصدد توصلت دراسة مصطفى مجاهدي حول تأثير برامج التلفزيون الفضائي على الجمهور، إلى أن السلطة الأبوية تمثل سمة بارزة في العائلة الجزائرية، ففي اختيار البرامج التي تتم مشاهدتها في السياق العائلي تمثل سلطة الأب المحدد الأول للبرنامج الذي ستتم مشاهدته، تليه سلطة الأخ الأكبر، بينما تظهر سلطة الأم في هذا السياق محدودة جدا، كما يبرز تأثير الأبوية في المجتمع الجزائري في عملية إنتاج المعنى من خلال النصح والتوجيه والأمر والنهي الذي يمارسه من يملكون هذه السلطة على التابعين لهم. (مجاهدي، 2011، صفحة 102، 103، 126، 127، 128، 130).

1- **الفجوة الجيلية والجنسية:** يشير مفهوم الفجوة الجيلية إلى اختلاف في الرؤى والمفاهيم بين جيلين متميزين عمريا، في حين يقصد بمفهوم الفجوة الجنسية الاختلاف في الرؤى والمفاهيم بين الذكور والإناث، وفي السياق الجزائري تشير العديد من الأدبيات إلى وجود اختلاف في الرؤى بين الأجيال يعززه وجود فوارق في المستويات التعليمية ومدى الارتباط بالموروث الثقافي التقليدي، (بويعلي وفرج الله، 2013) كما توجد فجوة بين الجنسين في الاهتمامات وتمثل الأدوار وهو ما أكدته دراسة الباحث (François Chevaldonne) حول تلقي وسائل الاعلام في الريف الجزائري، والتي توصلت إلى وجود فوارق كبيرة بين الرجال والنساء في الاستماع للراديو ومشاهدة التلفزيون. (Chevaldonne, 1981)

2- سيادة القيم: تمثل القيم معيارا أساسيا للسلوك في المجتمع الجزائري، فالقيم سواء كانت ذات بعد ديني أو اجتماعي تمثل مقياسا لتقييم السلوكيات، ولتحديد المرغوب والمرفوض، وبالرغم من التغيرات القيمية الكبيرة التي عرفها المجتمع الجزائري في العقود الأخيرة، إلا أن النسق القيمي لا يزال مهيمنا في شكل مدونة للسلوك العام، فالمجتمع الجزائري له ارتباط قوي بالدين والموروث الاجتماعي والثقافي، (بلمادي، 2016، الصفحات 104-107) وفيما يتعلق بتلقي وسائل الإعلام يؤدي التوجيه القيمي دورا بالغ الأهمية في عملية التلقي، فمن ناحية أولى يمثل هذا التوجيه معايير ومقاييس للسلوك الاجتماعي في شكل مرغوبات ومحظورات، ومن ناحية ثانية قد يؤدي هذا التوجيه إلى نتائج عكسية في حالة ما إذا كان يتنافى مع حاجات الأفراد، فالتعرض للمشاهد الجنسية على سبيل المثال يدخل دائرة المحظورات الاجتماعية، غير أن حاجات الشباب ودوافعهم خلقت فضولا عندهم للتعرض لهذه المشاهد. (مجاهدي، 2011، صفحة 144)

ثانيا: في علاقة الجزائريين بوسائل الإعلام الجماهيرية:

إن محاولة النظر في علاقة الجزائريين بوسائل الاتصال عموما ووسائل الاتصال الجماهيري خاصة، محاولة تميل للاستكشاف أكثر منها للبحث في المرجعيات النظرية القليلة في هذا الشأن، فمعظم البحوث التي اهتمت بدراسة جمهور وسائل الإعلام في الجزائر ركزت على توصيف البنية المورفولوجية لجمهور وسائل الإعلام الجزائري، (العياضي، 2020) والقراءة الوصفية الإحصائية لاهتمامات الجمهور وتفضيلاته وأشكال تعرضه لوسائل الاتصال، من دون فهم تمثلات الجمهور لوسائل الإعلام وتمثلاته لنفسه في علاقته بوسائل الإعلام.

في هذا الصدد يوصف قرانس فانون<sup>2</sup> في كتابه: (العام الخامس للثورة الجزائرية) نظرة الجزائريين لوسائل الإعلام الاستعمارية وعلاقتهم بها، بأنها كانت مبنية أساسا على نظرتهم للاستعمار الفرنسي، فالجزائري لا يمكن أن يتوقع خيرا من المستعمر، ولا من أي

شيء قد يكون له علاقة بالمستعمر، ولذلك فهو يرى في الصحافة الاستعمارية جزءاً من الاستعمار الفرنسي وتجسيدها رمزياً له، وقد أشار فرانس فانون " في معرض حديثه عن علاقة الجزائريين بالإذاعة الاستعمارية إلى نفور الجزائريين من كل الأشياء ذات الارتباط المادي أو الرمزي بالاستعمار، ولذلك فهم يرون في الإذاعة قطعة من الوجود الفرنسي في الجزائر وتجسيدها رمزياً للاستعمار .

ومن ناحية ثانية فإن تمثيلات الجزائريين لأنفسهم كأهالي يتمايزون في كل شيء عن المستوطنين وثقافتهم كانت دافعا لقلّة اهتمامهم بالصحافة، ففي حين تعتبر قراءة الصحافة لدى المستوطنين سمة حضارية وذات بعد رمزي للرقى والارتباط بالحضارة الغربية المتطورة، فإن الجزائريين -باستثناء القلة من الفئة البورجوازية الصغيرة التي استفادت من التعليم في المدارس الفرنسية-، لا يكثرثون كثيرا بالصحافة الفرنسية ويرون أنها لا تعنيهم ولا تعبر عنهم، هذا فضلا عن كون فئة كبيرة منهم لا تتقن القراءة والكتابة، وتعتمد على الاتصال الشفوي كوسيلة إعلامية أساسية، ولذلك كان الفرنسيون يسمون هذا النوع من الاتصال "الهاتف العربي" لأنه كان الوسيلة الأكثر شيوعا لانتقال الأخبار بين الأهالي.(فانون، 2004، الصفحات 66-70).

إن علاقة الرأي العام الجزائري بوسائل الإعلام الوطنية في الوقت الراهن، يمكن النظر إليها من عدة زوايا ومؤشرات، فإذا كان الجزائريون يميلون أحيانا للاهتمام بمضامين هذه الوسائل فيما يتعلق بالجوانب الاجتماعية والثقافية والإنسانية، فإنهم يميلون أكثر للتوجس وعدم الاكتراث والتهكم في بعض الأحيان، حينما يتعلق الأمر بتناول هذه القنوات أو الصحف للشأن السياسي الجزائري، فالجزائريون نتيجة لجملة من التراكمات التاريخية والسياسية يرون في وسائل الإعلام العمومية والخاصة جزءاً من النظام السياسي الجزائري وامتدادا له، حتى وإن كانت هذه الوسائل تبدو مستقلة شكليا؛ فالمخيل الجزائري ترسبت فيه سيطرة السلطة على وسائل الإعلام منذ الحقبة الاستعمارية، مروراً بمرحلة الحزب الواحد بعد

الاستقلال، حين كانت الدولة تحتكر ملكية هذه الوسائل، وصولا للمرحلة الراهنة التي ترسم فيها السلطة المجال الذي تتحرك فيه وسائل الإعلام، بالرغم من تعددية ملكيتها شكليا؛ والحاصل من هذا أن الجزائريين أصبحوا لا يرون في وسائل الإعلام امتدادا لهم، وينظرون إليها "كطرف آخر"<sup>3</sup> قد يمثل السلطة السياسية في غالب الأحيان أو أطرافا من السلطة السياسية، أو أصحاب مصالح قد تكون لهم ارتباطات بالسلطة السياسية.

قد يبدو من الإجحاف إسقاط هذا الكلام على الصحافة الجزائرية الخاصة، التي مثلت طيلة عقدين من الزمن، البديل الوحيد للإعلام الرسمي لدى الجزائريين، لكن المتأمل للمناخ العام الذي تعمل فيه هذه الصحافة، يلاحظ الضغوطات الكبيرة التي كانت تتعرض لها من طرف السلطة السياسية بأساليب مختلفة، سواء عن طريق الطباعة لأن غالبية الصحف الجزائرية تستخدم المطابع العمومية، أو عن طريق الحرمان من الإشهار العمومي الذي تحتكره وكالة النشر والإشهار، بالإضافة إلى الرقابة الذاتية التي يفرضها الصحفيون على أنفسهم خوفا من المتابعات القضائية، وبالرغم من وجود مجال ضيق للمناورة استغلته بعض الصحف لنقل انشغالات المواطن، ولفت انتباه الرأي العام لبعض قضايا الفساد، إلا أنه غالبا ما يتم اعتبار تناول هذه الصحف لقضايا الفساد مجرد "تصفية حسابات" (خالدي، 2020). ومن ناحية أخرى فإن هذه الصحف عرفت تدرجا كبيرا في أرقام سحبها بفعل بروز بدائل جديدة لجمهور الجزائري خاصة منها الشبكات الاجتماعية التي أضحت فاعلا بارزا في التأثير على توجهات الرأي العام، فبعد أن عرفت الصحافة الجزائرية طفرة قياسية في أرقام السحب سنة 2009 بفعل الأجواء المشحونة التي خلفتها مباريات المنتخب الوطني مع نظيره المصري في تصفيات كأس العالم 2010، عاشت هذه الصحافة تراجعا حادا في أعداد السحب بداية من سنة 2011 التي عرفت اندلاع ما يسمى بأحداث الربيع العربي، وبرز دور الشبكات الاجتماعية الرقمية في تعبئة الرأي العام وتنظيمه، والتي تزايد اهتمام الجزائريين باستخدامها من ذلك الحين.

### ثالثا: الجزائريون في السياق الرقمي:

بالرغم من التأخر الذي عرفته الجزائر في الولوج إلى السياق الرقمي مقارنة بالعديد من الدول العربية، إلا أن اندماج الجزائريين في هذا السياق جاء متسارعا، وفق ما تؤكد إحصاءات الولوج إلى الانترنت<sup>4</sup>، واستخدام الشبكات الاجتماعية الرقمية في العشرية الأخيرة، خاصة بعدما يعرف "بأحداث الربيع العربي" التي كانت دافعا أساسيا لاهتمام الجزائريين بالميديا الرقمية والاجتماعية، إلى الحد الذي أصبحت فيه هذه الوسائل مصدرا أساسيا للمعلومات بالنسبة للجزائريين، خاصة مع بروز "نخب جديدة" عبر الفضاء الرقمي، تهدف للتأثير على الرأي العام وتوجيهه، بالموازاة مع ادوار النخب التقليدية الفاعلة في التأثير على الجمهور، فتطور البنى الميديا تيكية في العصر الرقمي أثر بشكل بارز على السيرورة التواصلية الاجتماعية وغير موازين القوى داخل هذه البنى الاجتماعية، فأضحت الميديا الرقمية مجالا خصبا لممارسة الفعل الاجتماعي والثقافي المتحرر من هيمنة القوى التقليدية التي كانت تمثلها السلطة والنخبة التقليدية، فشهدنا بذلك بروزا لصوت الجماهير التي كانت مغيبة في السياق الميديا تيكى الجماهيري، بعد أن أتاحت لها التقنيات الجديدة للإعلام والاتصال ووسائل الإنتاج التي كانت حكرًا على القوى التقليدية، فتحوّلت بذلك العلاقة بين الجمهور ووسائل الإعلام من النسق الخطي الذي يمثل فيه الجمهور دور التابع والسلبى إلى نسق أفقى تفاعلي تبرز فيه سلطة هذا الجمهور وقدرته على النقد والمشاركة الفاعلة في المجال الإعلامى.

رافق هذا التحول التكنولوجي الذي عاشته الجزائر، تحول آخر على الصعيد الاجتماعى، خاصة من ناحية بروز الفردانية والسعي نحو تجاوز التمرکز الاجتماعى، بفعل عوامل عديدة من بينها تغير أنماط السكن والمعيشة، وظهور نمط الأسرة النوواة بدل نمط الأسرة الممتدة التي كانت سائدة في السابق، بالإضافة إلى التخلي عن النظام الاشتراكي في

الحكم والانتقال إلى نظام مهجن بين الليبرالية والاشتراكية، وبروز أشكال جديدة من الثقافة تميل أكثر إلى المماهات مع الثقافة الغربية.

تطرح هذه التحولات تساؤلات عديدة حول سيرورة تكون الرأي العام في المجتمع الجزائري في الوقت الراهن، وحول دور النخب التقليدية في التأثير على الجمهور، في ظل بروز أدوار الفاعلين الاجتماعيين الجدد (النخب الجديدة) كنتاج للأيديولوجيا التواصلية التي كرستها التقنيات الرقمية، والتي يصفها "جان بودريار": بأيديولوجيا حرية الكلام القائمة على إعادة إنتاج المعنى على مستوى القاعدة" (مصطفى، 2012، صفحة ص16)

فكيف نفسر تأثيرات هذه الصناعة الإعلامية الجديدة ذات الطابع الفردي الجماهيري التشابكي على الرأي العام، وهل يمكن الاكتفاء بالعامل التقني لتبرير التأثير البالغ للميديا الرقمية والاجتماعية على الرأي العام، أم أنه يجب النظر لأدوار العوامل الإنسانية والاجتماعية والأخلاقية أولا، (الحيدري، 2017، صفحة 9) إن الكثير من الوقائع التي برزت في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين بداية بثورات ما يسمى بالربيع العربي مرورا بالانقلاب الفاشل في تركيا وصولا إلى الانتخابات الأمريكية سنة 2016، تعطي مشروعية للتأثير البالغ للميديا الاجتماعية في توجيه الرأي العام، غير أنه لولا وجود سياقات اجتماعية تعطي مشروعية لهذه الأفعال لما تحقق التأثير كما هو الحال في الأمثلة المذكورة سلفا، وفي هذا السياق يحضرنا مثال في مجال الاتصال السياسي والحملات الانتخابية حيث أنه خلال حملة الانتخابات التشريعية الجزائرية في ماي 2017 وفي الوقت الذي اشتدت فيه المنافسة بين الأحزاب وتزايدت فيه دعوات السلطة للمشاركة القوية في الانتخابات باستغلال مختلف الوسائط الاتصالية، برز فيديو لأحد صناع المحتوى تحت عنوان: "منسوطيش" يدعوا فيه إلى مقاطعة الانتخابات بأسلوب إقناعي هزلي يستخدم اللغة الشعبية والتعبيرات الإيحائية من أجل إبراز الأوضاع المزرية لمختلف الفئات الاجتماعية، حقق الفيديو في فترة قياسية عدد مشاهدات تجاوز عتبة الثمانية ملايين مشاهدة على

اليوتوب، حتى أن العديد من الشخصيات السياسية تدخلت للتعليق على مضمون الفيديو محاولة تخفيف أثره على الجماهير. نفس الشيء كرره أحد صناع المحتوى في الانتخابات المحلية ولاقى نسب مشاهدة وتفاعل كبيرة جدا أيضا، ذلك بالرغم من وجود حملات إعلامية منظمة تصرف عليها أموال طائلة من أجل الدعوة للمشاركة القوية للانتخابات، فالأمر الفارق هنا هو توفر سياق اجتماعي يعطي مشروعية للفعل الاجتماعي الذي قدمه صناع المحتوى المذكورين ويدعمه. ولهذا يطلق الدكتور عبد الله الزين الحيدري على الميديا الاجتماعية مصطلح: المصانع الجديدة للرأي العام، ولا يهمل في ذلك دور السياقات الاجتماعية في إحداث التأثير والتغيير الذي يقوده الفاعلون الاجتماعيون عبر منصات الميديا الاجتماعية. (الحيدري، 2017، صفحة 9)

إن استخدام الجزائريين للميديا الاجتماعية الرقمية، نتج عنه تزايد في حالة الاستقطاب والتجاذب بين الآراء المختلفة، كظاهرة ناتجة عن النقاش والتفاعل عبر الشبكات الاجتماعية، فسياق الميديا الاجتماعية، مكن المستخدمين من التعبير عن آرائهم ومواقفهم والدفاع عن أفكارهم بكل حرية، والتفاعل مع آراء الآخرين إما بالنقد أو المساندة أو التوجيه أو المعارضة، في جو من الشد والذب بين الآراء المختلفة، (الحيدري، 2017، صفحة 6) ولعل أبرز تجلي لهذه الحالة من الاستقطاب، كان في الانقسام الذي حدث في الرأي العام الجزائري حول الانتخابات الرئاسية الأخيرة، بين المؤيدين للمسار الدستوري الذي ترعاه المؤسسة العسكرية والداعي للمشاركة في الانتخابات الرئاسية، والرافضين لهذا المسار المقتنعين بمواصلة الحراك الشعبي كسبيل لتحقيق الديمقراطية المنشودة؛ نتج عن هذه الحالة نشوء عصب عبر الميديا الاجتماعية، تعبر عن أطراف هذا الانقسام، وتسهم في توجيه الآراء لصالحها قدر الإمكان في ظل وجود سياق اجتماعي وسياسي يغذي هذا التجاذب في الواقع وعبر الميديا الاجتماعية.

## خاتمة:

لقد انطلقنا في هذه الورقة من ملاحظة الواقع وبناء على مراجعة الأدبيات السوسيولوجية والاتصالية المهمة بضرورة تكون الرأي العام في المجتمعات الانتقالية عموما، وفي المجتمع الجزائري تحديدا، والملاحظ في هذا السياق أن الفواعل المؤثرة على الرأي العام الجزائري عرفت توسعا وتنوعا في الوقت الراهن، فبعد أن كانت العصبية التقليدية وسلطة الأبوية الاجتماعية والتماسك العضوي القائم على أساس القرابة والدم، وقادة الرأي في المجتمع، بالإضافة لوسائل الإعلام الجماهيرية عوامل أساسية في توجيه الرأي العام خاصة في الفترات الانتخابية، توسعت هذه الفواعل في الوقت الراهن، بفعل التطورات السوسيو تكنولوجية التي عرفها المجتمع الجزائري في السنوات الأخيرة، فأصبحت الميديا الاجتماعية فاعلا أساسيا في التأثير على الرأي العام الجزائري، وساهمت في زيادة حدة الاستقطاب فيه، بعد أن كانت الميديا التقليدية تكتفي بممارسة دور الضبط في توجيه الرأي العام، غير أنه لا يمكن النظر إلى تأثير الميديا الرقمية والاجتماعية على الرأي العام بمعزل عن السياقات الاجتماعية التي تعطي لهذا التأثير مشروعيته، ولذلك فإن محاولة استشراف الرأي العام الجزائري وفهم سيرورة تشكله، وفق المعطيات السوسيو تكنولوجية الراهنة، لا يمكن فيها تجاهل التحولات الاجتماعية والتقنية التي عرفها هذا المجتمع في الحقبة الأخيرة، خاصة من ناحية أدوار البنى الاجتماعية التقليدية وتأثيرات وسائل الإعلام الثقيلة، التي ما زالت فاعلا محوريا في التأثير على الرأي العام بالرغم من تراجعها الملموس، كما أنه لا يمكن إغفال الدور البارز للميديا الرقمية والاجتماعية في تعبئة الرأي العام وتوجيهه.

## الإحالات والهوامش:

<sup>1</sup> حسب المفكر هشام شرابي تشير الأبوية كمنقولة اجتماعية واقتصادية إلى مجتمع تقليدي وسابق للحدث. أنظر: عبد الحليم ليام، (2017). الفساد النسقي والدولة السلطوية: حالة الجزائر منذ الاستقلال، سلسلة أطروحات الدكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 114.

<sup>2</sup> فرانس فانون هو طبيب نفسي وفيلسوف اجتماعي عرف بنضاله ضد العنصرية والتمييز، خلف العديد من الكتابات والمؤلفات الداعمة للفكر التحرري من الاستعمار، قدم في الكثير من كتاباته وصفا سيكوسوسيولوجيا لنفسه شعوب العالم الثالث المستعمرة وعن الذهنية الاستعمارية القمعية التي لا يمكن مواجهتها إلا بالقوة، وبالرغم من جنسيته الفرنسية وعمله كمجنّد فرنسي أثناء الحرب العالمية الثانية وكطبيب عسكري ورئيس لقسم الطب النفسي في مستشفى جوانفيل في الجزائر، إلا أنه اختار النضال إلى جانب الثورة التحريرية الجزائرية حيث عمل فيها كطبيب ومناضل وصحفي ودبلوماسي إلى غاية وفاته سنة 1961.

<sup>3</sup> تشير بعض الأدبيات في الاتصال مثل نظرية تأثر الشخص الثالث إلى أن الناس يميلون لتلقي الرسائل من الأشخاص المشابهين لهم بطريقة أفضل، ولذلك فإذا كانت نظرتهم للرسالة أو المصدر على أنه مختلف عنهم، أو بعيد عنهم من حيث المسافة الاجتماعية، فإنهم يجنحون نحو عدم الاقتناع بما يقدمه، أما إذا كانوا يرون في الرسالة أو المصدر قريبا منهم وتشابها معهم فإنهم يميلون أكثر للتفاعل الايجابي مع هذه الرسالة أو المصدر.

<sup>4</sup> يبين التقرير الرقمي الذي تصدره منصة "Data Reportal" المتخصصة في الإحصاءات الرقمية، أن عدد مستخدمي الانترنت في الجزائر مطلع سنة 2021 يفوق 26 مليون مستخدم، كما أن عدد مستخدمي شبكات التواصل الرقمية يناهز 25 مليون مستخدم، من بينهم 23 مليون مستخدم لموقع فيسبوك.

## قائمة المراجع:

### المراجع باللغة العربية:

بلمادي أحلام. (2016). سوسيولوجية القيم والتغير القيمي في المجتمع الجزائري، مجلة الحكمة للدراسات الإعلامية والاتصالية، المجلد الرابع، العدد 07، 08 ماي.

بوجمعة رضوان. (2007). أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل: محاولة تحليل أنثروبولوجي، (أطروحة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال غير منشورة)، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 03

- بوعلي وسيلة وفرج الله صورية. (2013). الصراع حول القيم الاجتماعية في الاسرة الجزائرية: دراسة استطلاعية على عينة من المراهقين بثانوية العربي بن مهدي بسكرة، الملتقى الوطني حول الاتصال وجودة الحياة في الاسرة، جامعة ورقلة،
- تريكي حسان. (2012). التحديث وانعكاساته على نسق القيم في المجتمع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 30-31.
- تمار يوسف. (2004). نظرية الأجندة سيتينغ: دراسة نقدية على ضوء الحقائق الاجتماعية والثقافية والإعلامية في المجتمع الجزائري، (أطروحة دكتوراه دولة في علوم الإعلام والاتصال غير منشورة)، جامعة الجزائر 3.
- حريق إيليا. (2000). التراث العربي والديمقراطية: الذهنيات والمسالك، المستقبل العربي، السنة 22، العدد 251، يناير
- الحيدري عبد الله الزين. (2017). الميديا الاجتماعية : المصانع الجديدة للرأي العام، مركز الجزيرة للبحوث والدراسات، 25 يناير.
- الشيخ جقاوة ولعل بوكميش. (2018). السلطة الأبوية داخل العائلة الجزائرية، مجلة الحقيقة، العدد 43.
- عادل خالدي (17 مارس 2019)، كيف ساهم الإعلام الاجتماعي في حراك الجزائر، مجلة الصحافة، معهد الجزيرة للإعلام، <https://institute.aljazeera.net/ar/ajr/article/669> مسترجع بتاريخ: 2020/12/15، الساعة 11:20.
- العياضي نصر الدين. (2020). هل لازالت نظريات التلقي ناجعة لدراسة الميديا في البيئة الرقمية، ملتقى دراسات الميديا من مركزية الرسالة إلى محورية المتلقي: مراجعة نقدية لنظرية التلقي، مخبر استخدامات وتلقي المنتجات الإعلامية والثقافية في الجزائر، جامعة الجزائر 03، 02/12/2020.
- العيفة جمال. (2007). الاتصال الشخصي ودوره في العمل السياسي: دراسة ميدانية حول استفتاء ميثاق السلم والمصالحة الوطنية بالجزائر، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، قسم الإعلام والاتصال، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 03.
- فانون فرانس. (2004). ترجمة: ذوقان قرقوط، العام الخامس للثورة الجزائرية، دار الفارابي، الجزائر،
- لوصيف سعيد. (2016). التفكير في المجتمع الجزائري: مخاطر الحتميات الدوغمائية وهيمنة النسق الاجتماعي التقليدي، فصل من كتاب جماعي بعنوان : التفكير في منهجيات دراسة الإعلام والاتصال في المجتمع الجزائري، مخبر تلقي واستخدام المنتجات الإعلامية والثقافية، جامعة الجزائر 3.
- ليمام عبد الحليم. (2017). الفساد النسقي والدولة السلطوية: حالة الجزائر منذ الاستقلال، سلسلة أطروحات الدكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

مجاهدي مصطفى. (2011). برامج التلفزيون الفضائي وتأثيرها في الجمهور، شباب مدينة وهران نموذجا، سلسلة أطروحات الدكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.  
محي الدين قنفود(ديسمبر 2016)، الأسرة الجزائرية بين المحددات التقليدية والمشكلات الحضرية، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، العدد 6.  
المصطفى حمزة مصطفى (2012)، المجال العام الافتراضي في الثورة السورية الخصائص-الاتجاهات-آليات صنع الرأي العام، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر.

### المراجع باللغة الأجنبية:

François Chevaldonné. (1981). *La communication inégale, L'accès aux media dans les campagnes algériennes*, France: C.N.R.S.